صناعة الدوال والمؤولات في الصورة الفوتوغرافية الصحفية

(صورة الطفل الغريق ايلان انموذجا)

أ.م.د هدى مالك

جامعة بغداد / كلية الإعلام

المستخلص:

مع تطور تكنولوجيا الاتصال والتقنيات الحديثة التي غزت اسواق ووسائل الاعلام اصبحت للصورة اهمية لا تقل لا بل تزيد على اهمية الكلمة (النص) حيث تمكنت من ان تفرض هيبتها ومكانتها في مساحة اهتمام المتلقي لكونها ناقلاً أميناً للحدث ومختصراً مفيداً لما يريد ان يقوله صانع الحدث لذا اصبح لدى الكثير من المتلقين هاجس البحث عن الصورة قبل الخبر ليزيد من قناعاته ويعزز من اتجاهاته المسبقة نحو الحدث ومن ثم فان الصورة كما النص رسالة تحمل معاني ودلالات كثيرة وكما يقول رولان بارت الصورة رسالة تهدف إلى الوصول إلى عقل المتلقي والرسوخ في ذهنه عبر علامات بصرية ليتم تأويلها وتحويلها إلى رسالة ثانية.

وانطلاقا من أهمية الصورة الصحفية الفوتوغرافية كان هذا البحث الذي تم اختيار موضوعه من احدى الصور التي تم تداولها عبر مواقع التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية لارتباطها بحدث مهم في وقته وهي صورة الطفل السوري الغريق (ايلان) معتمدة على المنهج السيميائي في التحليل متبعة خطوات التحليل (البارتية)* للوصول إلى كيفية صناعة الدال والمدلول وكيفية ولادة مدلولات اخر من دوال اخرى في الصورة نفسها وعناصرها.

وقد بينت الباحثة ان ذلك سببه ظهور احداث ومضامين اخبار جديدة ساعدت في ظهور هذه الدوال.

The Role of University Professors in Reducing Intellectual Extremism among students of the First Stage

Ast.Prof. Huda Malik, Ph.D. /University of Bghdad/College of Mass Communication

Abstract

The theory of the psychologist's Piaget states that man passes through four stages; other says that mankind passes through five. At each stage, human learn new characteristics, values, skills, and cultures from different environment

that differ from one society to another. Therefore, the cultures of societies vary according to the diversity of the environments. These environments also vary depending on the circumstances surrounding them, e.g., in war environment, the individual learns what he does not learn from living in safe environment. As the environment changes, the communicative message also changes. This message is subject to person, groups, organizations and parties and directed to a diverse audience in its orientations and beliefs. All of these will bring us new cultures and new behaviors. Based on the above, we can put the first brick of this research paper which relates to how to confront students who are victims of many strong contacts in building their ideas and determine their directions before they enter the campus. Those young people, who have spent eighteen years or more in the midst of world, have taken a lot from their personality. And according to modern theories of growth, these years are enough to create a human being. So what the professors of the universities will add to their personalities.

In order to identify the role of the university's professors in reducing religious, political and social radicalism among the students of the first stage, this research is conducted. The researcher hypothesizes that professors have an important role in the process of change and construction the ideas and attitudes. The researcher uses two questionnaire forums to determine the role, size and importance of the professors one is used for the respondents from the professors, and the second is from the students.

المدخل

مثلما يبدع الرسامون والشعراء في بناء رسوماتهم وقصائدهم يبدع المصور الصحفي في (تشكيل) صورته ابداعا يضاهي به كلمات الشاعر وريشة الفنان مع اختلاف الادوات ، فالصورة الصحفية الفوتوغرافية لا تختلف عن اي ابداع في اي مجال من مجالات الحياة الا انها تختلف عنها احيانا (بالقصدية) فالصورة الصحفية وجدت اصلا من أجل الاخرين (المتلقي) واختيار لقطاتها للتأثير في مشاعره او لتغيير اتجاهاته او لتعزيز قناعاته لذا فلا عجب لو غيَّر المصور وضع كاميرته اكثر من مرة ولا عجب ان غيَّر وضع عدسته اكثر من مرة قبل التقاط الصورة ، فالموضوع (يستحق).

اذ ان كل تلك الاوضاع والانساق التي اجراها ستخضع لعملية اختيار صعب من العاملين في الصحيفة الورقية او الصحيفة الالكترونية اذ يطمعون في المزيد من التاثير والاعجاب والتأويل فالهدف ليس محصورا في اطلاع المتلقين على حقيقة وصدق الحدث وانما يتعدى ذلك احيانا إلى تغيير في اتجاهات المتلقي وتغيير قناعاته ، فمجرد تصوير لقطة من زاوية

معينة قد تحدث صدمة او تحدث ضجة او تحدث ذهولا عند المتلقي او تغيير قرار او تعديل قانون او تعبئة الرأي العام او تثير قضايا على المستوى الدولي وهكذا فاذا اردنا ان نصف نتائج تأثير الصورة الصحفية فسوف لن نقف عند حدود معينة.

رغم ذلك الا ان القليل منها قد اخضع للتحليل السيميائي في مجال البحوث العلمية العربية وقد يعزي البعض ذلك لاسباب منها صعوبة الخوض في هذا المجال او المنهج التحليلي الجديد على الباحثين العرب او قد يكون السبب في صعوبة اختيار الصورة نفسها فبعضها قد يثير مشاكل للباحث مع السلطة او مع المتلقي نفسه او جهات اخرى عديدة اذا ما اراد ان يفسر او يؤول الصورة تأويلا علميا دقيقا فالسيميولوجيا علم يحتاج إلى صدق في التعبير وضوح في الرؤيا وجرأة في التناول والبحث عن الاسباب واعلان نتائجها وشجاعة في وصف الدالات وتحديد دلالاتها ، وباختصار السيميولوجيا لا تعشق المجاملات في التأويل ولا تجامل المرسل على حساب المرسل اليه.

وبناءا على ما تقدم حاولت الباحثة انتقاء صورة ساهمت التكنولوجيا الحديثة ذات الجودة العالية إلى تحويلها إلى اسطورة بصرية من خلال اختبار لقطة من مجموع لقطات ظهرت على مواقع التواصل الاجتماعي قد اثارت القارئ وشدته نحو موضوعها ، الا وهي صورة الطفل السوري الغريق (ايلان).

ان الوصول إلى الصورة الصحفية الاسطورة واخضاعها للبحث يحتاج إلى عدة امور منها:

١- اهتمام عالمي بموضوع الصورة.

٢- تداولها عبر وسائل الاتصال الجماهيري.

٣- تأويلها بدلالات ذات معان عالمية متفق عليها في اغلب المجتمعات.

٤- استمرارية تداولها وتأويلها من قبل الجمهور.

٥- الاشارة اليها في كل مناسبة لها علاقة بموضوعها.

٦- دراستها واعتمادها كمصدر في البحوث العلمية.

ان عملية اعتماد الصورة المذكورة اعلاه كموضوع لبحثنا تحتاج إلى لغة سيميائية

لتحويلها من صورتها الدلالية إلى صورة رمزية (وصفية) ليتسنى لنا قراءتها قراءة ثانية بعد ان تمت قراءتها قراءة اولى من قبل المتلقي في كل مكان.**

خطوات التحليل

اعتمدت الباحثة نظرية رولان بارت[1] في التحليل السيميائي للصورة حيث يصنف بارت عملية التحليل إلى مرحلتين:.

١- المرحلة الاولى : وهي المرحلة التقريرية او ما يسمى بالنسق السيميولوجي الاول وهي مرحلة انتاج الدلالات (حضور المعنى كما يظهر في الصورة والبحث عن مسبباته).

اي حضور الدال بدون ترميز ايحائي.

٢- المرحلة الثانية: وهي المرحلة السيميولوجية الثانية او الوصفية اوالتفسيرية وهي مرحلة حضور المؤول وربط الاسباب بالنتائج.

اسباب اختيار صورة موضوع البحث

نعيش في وسط ثورة صورية تظهر لنا في كل مفاصل حياتنا الشخصية ، الا ان ذلك لا يعطينا الحرية الكاملة لاختيار اية صورة واخضاعها للتحليل فوسط هذا الكم الهائل لا بد ان تبرز صورة معينة ومحددة لها مواصفات خاصة تثير الباحث وتدفعه لاستخدامها كموضوع لبحثه فليس كل الصور تستحق التأويل وانما ففقط تلك الصورة التي تحرك بداخلنا عواطف وانفعالات وكما يقول بارت (الصورة ليست في شكلها وانما في الوعي الذي تحركه او تصنعه).

لذا نستطيع ان نقول ان من اهم اسباب اختيار هذه الصورة :.

١- ان صورة الطفل الغريق ايلان ظهرت في زمان ومكان مرتبطان بحدث عالمي الذي برز فجأة في قائمة اهم الاحداث وبدون اي تمهيد اعلامي وهو تدفق الاف المهاجرين من العراقيين والسوريين في ذلك الوقت ومن هذا المكان بالتحديد (البحار التي تفصل تركيا عن اليونان) وبافواج واعداد وطريقة خطفت الاهتمام العالمي واهتمام وسائل الاتصال الجماهيري وكذلك اهتمام السياسيين والحكومات والمنظمات العالمية.

٢- استطاعت الصورة ان تستقطب اهتمام الناس من كل الجنسيات والقوميات والاديان على الرغم من ظهور صور اخرى تعكس معاناة المهاجرين في نفس المكان.

٣- لأن الصورة تتعلق بطفل شكلت نهايته وطريقة استلقائه على ساحل البحر صدمة للمتلقين لكونه في عمر الطفولة ذلك العمر الذي يتحمل مسؤوليته وما يعانيه من الم اطراف اخرى مثل عائلته والعالم كله مما ادى إلى توحيد وتحريك نفس العواطف عند المتلقي في كل مكان من العالم.

٤- معنى الصورة ودلالتها في النظرة الاولى للمتلقي تعطي تفسيرا مباشرا لنهاية الطفل كحكاية يعرف المتلقي بدايتها بحيث وفرت له هذه السهولة في المعاني الوصول إلى مغزى الحكاية بدون تعب البحث عن معلومات تدعم عناصر الصورة.

٥- كانت للصورة المذكورة تأثيران ، الاول حينما حينما اثارت عواطف المتلقي ومشاعره عند ظهورها مع نص الحدث لأول مرة ، اما التاثير الثاني فقد اثار التساؤلات عند المتلقي عندما ظهرت الصورة مرة ثانية مع معلومات خبرية جديدة. مما حفز الباحثة على تفسير الصورة في المرحلتين.

المدخل النظري

اولا: مفهوم الصورة الصحفية ودلالتها

تعرف الصورة الصحفية على انها (الصورة الفنية بيضاء وسوداء او ملونة ذات مضمون واضح وجذاب ومعبر بصدق وامانة وموضوعية عن الاحداث والاشخاص او الانشطة او الافكار او القضايا او النصوص والوثائق والمناسبات المختلفة المتصلة بمدة تحريرية معينة تكون صالحة للنشر على صفحات جريدة او مجلة او تقوم بتوزيعها وكالات انباء او صور على سبيل التاكيد – توضيح وتفسير – والدعم والاضافة للفت الانظار وزيادة الاهتمام تلتقطها عدسة مصور بطريقة تعكس حدسا فنيا اتصاليا وفهما لوظيفتها) [٢].

ان الصورة الصحفية الفوتوغرافية (هي رسالة لذا ينبغي ان تخضع لنظرية الاتصال الاساسي مرسل وقناة اتصال ومتلق)[٣] وعلى الرغم من ان الصورة الفوتوغرافية قد تلتقط بهدف معين الا ان تفسيرها وتأويلها قد يحيلها إلى معنى اخر ويضفي عليها التاويل احيانا القصدية إلى درجة قد تزاح من مكانها الاصلي إلى مكان افتراضي في مخيلة المتلقي . تلك الازاحة والاحالة المكانية التي تمت بفعل التأويل وتحويل المدلولات في عقلية القارئ او المتلقي لم تأت اعتباطا بل هي بنيت على اساس اجتماعي وثقافي وتاريخي وامور كثيرة مجتمعة في عقل القارئ تحيل الصورة من مكان إلى مكان اخر ومن زمان إلى زمان اخر.

ان تأويل الصورة يجعلها تولد ولادة ثانية جديدة قد لا تمت إلى موضوعها الاصلي وقد يتفاجأ المصور او القائم بعملية التصوير بطريقة تحليل القارئ الذي يبتعد بتأويلاته عن فكرة الصورة وموضوعها مع ابقائها على نفس العلامات وعناصر الصورة الاصلية.

يجري انتقاء الصورة الصحفية من بين عدد كبير من الصور وبكثير من العناية بل انها قد تقطع للتركيز على جانب دون اخر او يتم التلاعب في الوانها وفي عناصرها من اجل ان تؤدي إلى هدف معين ، فالصورة «موضوع جرى العمل عليه ويتم اختياره وتأليفه وتركيبه ومعالجته وفق قواعد تخصصية وجمالية وايديولوجية لتضمينها لكثير من عوامل الايحاء»[٤].

تظهر الصورة عادة مع خبر ، ونص الخبر هو الذي تلوذ به معاني الصورة لتعزز قراءة معينة للصورة مستبعدة بالمقابل القراءات الاخرى ، اذ يقدم النص المصاحب للصورة تضمينات من العلامات اللغوية تضع حدودا لمعاني الصورة.

ثانيا : التحليل اللغوي والتحليل الصوري

يقصد بالتحليل اللغوي[٥] :

تفكيك الظاهرة اللغوية إلى عناصرها الاولية التي تتالف منها وتتنوع طرق التحليل اللغوي تبعا لتنوع المستوى اللغوي الذي تنتمي اليه الظاهرة اللغوية المراد تحليلها إلى المستوى الصوتي او الصرفي او النحوي وغيرها ، وتختلف طريقة التحليل حسب المستوى المراد دراسته.

ويعد العالم اللغوي دي سويسر هو اول من وضع مبادئ علم اللغويات حيث اشار إلى "قدرة العلامات اللغوية لان تكون ذات معنى فأنها تعتمد على وجودها في سياق اجتماعي وعلى اساس استخدامها في ذلك السياق على نحو مقبول ومتفق عليه»[٦] ثم جاء من بعده علماء كثيرون وجدوا ان كل شيء من حولنا يتسحق ان يخضع للتحليل والتاويل بما فيها الرموز اللفظية وغير اللفظية واول من تصدى لدراسة رموز الرسائل البصرية هو العالم الفرنسي رولان بارت الذي اخضع كل الظواهر الاجتماعية للتحليل والتفسير بدقة وتفصيل جعلت الاخرين ينتقدون بعض التفاصيل التي قام بتاويلها من العالم المحيط بنا.

الا انه لم ينكر اهمية اللغة وحضورها واهميتها في تأويل الاشياء البصرية لذلك يقول ان الاشياء والصور والسلوكيات قد تدل بل تدل بغزارة لكن لا يمكنها ان تفعل ذلك بكيفية مستقلة اذ ان كل نظام دلالي يمتزج باللغة ، فاللغة هي التي تحقق للوجود الانساني عالم المدلولات بانتاج المعنى واسنادها الدلالة إلى الاشياء ثم تدعم التواصل الانساني[٧].

ولم يكن بارت وحده هو الذي ادخل عوالم بصرية غير لفظية إلى عالم التأويل اذ اتبعه امبرتو ايكو في ذلك حيث قسم انظمة الاتصال الثقافي الذي (تخضع للتأويل) إلى (١٨) نسقا هي (سيميائية الحيوان ، العلامات الشمية ، التواصل اللمسي ، سنن الذوق

، العلامات المصاحبة لما هو لساني ، السيميائية الطبية ، حركات الاجسام ، الاشارات الدالة على القرب ، الانواع السننية الموسيقية ، اللغات المشكلة ، اللغت المكتوبة ، اللغات الطبيعية ، التواصل المرئي ، نسق الاشياء ، بنيات الحكي ، الانواع السننية الثقافية ، الانواع السننية والرسائل الجمالية ، التواصل الجماهيري ، الخطابة)[٨].

ويرى سعيد بنكراد ان التمثلات البصرية (العلامات البصرية) هي عبارة عن لغة بصرية بالغة التركيب والتنوع فهو تركيب يجمع بين ما ينتمي إلى البعد الايقوني وبين ما ينتمي إلى البعد التشكيلي مجسدا في اشكال من صنع الانسان[٩].

وهذا ما جعل البعض يتساءل كيف للصورة ان تخضع للتحليل السيميائي وهي رسالة صماء لا تتضمن اي تعليق او نص مكتوب او منطوق لاعتقادهم ان اللغة اللفظية هي وحدها تستحق التاويل لان الكلام هو مفتاح الوصول إلى الحقيقة الكامنة فيه ، اما الصورة فهي عبارة عن عناصر فنية يقوم بجمعها المصور بقصد منه او بغير قصد.

وقد جاء الرد على اولئك الذين يرفضون استخدام اليات التحليل اللغوي في التحليل البصري من قبل العالم الفرنسي كريستيان فيتز[١٠] الذي فسر قواعد عملية التحليل على ان الرسالتان (اللسانية والبصرية) تقبلان التفكيك إلى عناصر يقوم المتلقي باعادة تركيبها ليحصل المعنى الا ان الرسالة اللسانية لا تقبل التقطيع إلى عناصر صغرى مستقلة لانها ترابطية تختزن في بناءها دلالات لا تتجزأ.

ورغم ذلك فان التعايش بين اللغة والصورة ضارب جذوره في عمق التاريخ فلا يمكن الحديث عن الصورة بدون لغة كما ان اللغة مليئة بالصور الشعرية والبيانية.

المدخل التفسيري للصورة

اولا: اعتمدت الباحثة على مرحلتين في تحليل الصورة:

١ – المرحلة التقريرية وتتعلق بوصف الصورة وصفا يعطيها المعنى الدقيق اعتمادا على معلومات موثقة.

٢ – المرحلة التفسيرية او المجازية وتتعلق بوصف الصورة وتحليلها وتفسيرها سيميائيا (رمزيا).

١- المرحلة التقريرية للصورة:

بدات قصة هذه الصورة في بداية شهر ايلول عام ٢٠١٥ عندما ظهرت فجاة على سطح الاحداث ابان هجرة مجموعة كبيرة من العوائل والشباب من سوريا والعراق باتجاه الدول الاوربية ، تكونت الصورة من عناصر يشير كل عنصر إلى دال محدد وهي طفل يرقد على ساحل البحر بكامل لباسه متخذا وضع النائم امامه البحر تبدو امواجه ساكنة ، الطفل لم يتجاوز الاربع سنوات يرتدي قميصا احمر وبنطالا ازرقا وحذاء بني اللون تحولت هذه الالوان فيما بعد إلى علامة رمزية).

الطفل يدعى (ايلان) من عائلة كردية تسكن منطقة تعرضت إلى هجوم وحشي من قبل الارهابيين وهي منطقة (عين العرب) التي تقع على الحدود السورية التركية مما اضطر عائلة الطفل إلى الفرار نحو البحر للهروب إلى احدى الدول الاوربية عبر البحر حيث لقت العائلة حتفها (الام وابنيها احدهما ايلان) ولم يبق على قيد الحياة الا (الاب) الذي سيكون سببا في ولادة دال ثاني من المدلول الاول.

تعرض قارب الطفل وعائلته التي ابحرت ليلا مع عوائل اخرى باتجاه جزيرة (كوس) اليونانية إلى امواج عاتية قلبت القارب واودت بحياة البعض ممن كان على متن القارب وفي صباح اليوم التالي وجدت الشرطة البحرية التركية جثة الطفل ملقاة على ساحل شبه جزيرة (بوضروم) التركية.

٢- المستوى الثاني (المرحلة التفسيرية) المقاربة السيميولوجية.

في الصورة موضوع البحث يظهر لنا للوهلة الاولى دالات اولى ومدلولات او مؤولات اول الا ان تغيير الاحداث وظهور معلومات جديدة حول موضوع الصورة فيما بعد ادى إلى ولادة مؤولات جديدة سنشير اليها لاحقا تظهر في الصورة عدة عناصر او محاور الا ان اول عنصر تقع العين عليه عند رؤية الصورة اول مرة هو جسد الطفل وهو ملقى على رمال الساحل بوضع يشبه وضع النائم الذي يغط في نوم عميق مريح اذ عادة ما تضع الام طفلها بوضع المستلقي على بطنه مع اتجاه يديه نحو رجليه وهذه الوضعية معروفة عند الامهات ، لهذا السبب اعطت هذه الوضعية ايحاءات عديدة للمتلقي وكأن الطبيعة هي الام المكانية التي ساهمت في نومه بهذا الشكل وكانها تريد ان تقول لنا ان امواج البحر كانت حنونة اكثر من امه حين القته على الساحل بطريقة مريحة ووضع آمن.

لقد رمى البحر نتيجة لامواجه العالية والرياح العاتية بجسد الطفل بعيدا عن وحشية اعماق البحر ، لقد رفضت وحوش البحر استقباله واودعته على سريره الرملي ليغفو

غفوة هانئة ، هذه اللقطة اوحت لكثير من الفنانين التشكيليين بلوحات فنية رائعة بعد ان (استعاروا) جسد الطفل ووضعوه غلى سرير في رسم ايحائي مبهر وبهذا يكون الجميع قد اتفق ان نومة الطفل توحي وكانه يغفو على سرير مريح.

مازلنا في جسد الطفل الذي يعد الدال الرئيسي في الصورة تلتقي عنده كل الدوال الاخرى فهو العنصر الرئيسي وبطل الحكاية قد اوحى الينا بمؤولات كثيرة تستمد موضوعاتها من الحياة والموت فالموت هنا اشارة إلى بداية الحياة المليئة بالاسترخاء والراحة فنوم الطفل هو المؤول الذي احالنا إلى موضوع الراحة تلك الراحة التي تحولت إلى مؤول اخر .

عندما يطرح سؤال مهم لماذا يعد الموت بداية للراحة عند بعض المجتمعات؟ عند الاجابة سنكون نحن امام دال + مدلول اول ثم تحول المدلول الاولى إلى دال ثاني يحتاج إلى مؤول ثاني ، ولو عدنا إلى بعض الحقائق لوجدنا ان الموت يرمز إلى الراحة حينما يصل الكائن الحي إلى مرحلة اليأس او الخوف القاهر او المرض القاتل او ظروف قاسة غير انسانية.

فبأيهم كان ايلان يعاني؟ بينما في ثقافات اخرى فان الاشياء التي تتجه نحو الارض تدل على الموت بعكس الاشياء التي تتجه نحو السماء فهي تدل على الحياة.

ان وضع الطفل وهو بكامل هيئته وملابسه بدون اي تاثير للطبيعة على جسده (تاثير حيوانات البحر وكائناته) انتجت هي الاخرى مدلولات كثيرة عند المتلقي فمنهم من وضع الدال في قالب ديني ومنهم من وضعه في قالب دنيوي مما ادى إلى تغيير في وضع الصورة عند المتلقي من نسقها السميولوجي المنطقي إلى الوضع السميولوجي الاسطوري الذي يبدو عند البعض غير منطقي.

ولو انتقلنا إلى دوال اخرى في الصورة التي تكونت من علامات رئيسية وهي الطفل ، البحر ، الساحل ، والتي ترتبط بها دلالات كثيرة منها الهدوء الذي اوحت به الصورة بحيث ابعدت التهمة عن امواج البحر التي كانت سببا في موته ، فالصورة عند التقاطها كانت تعكس امواجا هادئة لا توحي بشراسة البحر ابدا الذي كان قبل ساعات غاضبا هائجا والدليل جثة الطفل الهامدة ، بينما ابتعدت السماء او غابت نهائيا عن الصورة وهذا بحد ذاته دال غائب يدل على حضور المؤول الا وهو ان الافعال القاسية والوحشية ليست من فعل السماء .

في الصورة ايضا حذاء ايلان الذي كان يتجه نحو الكاميرا ليقول للعالم انا لا آبه بكم والحذاء عند بعض الشعوب ترمز إلى التحقير والاستهانة او التصغير للشخوص او لافعالهم.

اما الامواج التي كانت لا تبعد عن رأس الطفل الا بحدود مترين او اكثر فكانت تتحرك بهدوء ولونها السمائي الذي يدل على الراحة والطمأنينةتلك الموجة الوحيدة التي شيعت جسد الطفل إلى الساحل وبقيت قريبة منه كانها تحرسه لحين وصول الحراس من البشر كما انها قد توحي للمفسر انها تبدو وكانها تريد ان تعتذر لايلان عن صخب الامواج (رفيقاتها الاخريات) عما سببّه له من اذى ، او انها تريد ان تقول للعالم بان المسؤولية يتحملها الطرفين انتم والبحر فالعالم رمى ايلان إلى البحر والبحر رمى بايلان إلى الساحل.

انه الامان الذي يبحث عنه المهاجرون ولكن امان من نوع اخر انه امان السماء حيث ارتفعت الارواح إلى حيث الامان الابدي.

يوحي الساحل للمتلقي بانه رمز للامان والوصول إلى الهدف والمراد المطلوب ، فاليابسة عند المتلقي هي اكثر امنا من البحر على الرغم من ان نصف الجزء اليابس من العالم لم يعد امنا لايلان واقرانه الاخرين الذين هربوا منها نحو البحر لعله ينقلهم إلى النصف الاخر الامن الا ان ايلان قد تفاجأ بأن لا البحر ولا اليابسة تخفف من معاناته فقرر الفرار إلى السماء وهذه الدوال دفعت ببعض الرسامين إلى رسم صورا بهيئة ملائكة وكانها جاءت لتنقذ ايلان وترفعه إلى السماء حيث تنتظره امه واخيه الاكبر منه.

اما الهدوء الذي يلف (اللوحة) حيث لا بشر ولا طير ولا قارب ولا حركة بتاتا فانها كلها توحي بشيء ما قد وقع ، شيء خطر يشبه النهاية او قد يرمز الهدوء إلى الغياب او إلى الرحيل حيث يوحي الضجيج بوجود البشرية ذلك الضجيج الذي فر بعيدا عن مساحة الصورة التي تضم (ايلان واصدقائه البحر والساحل) ، حيث لا احد يهتم بأمره ، لقد انشغل العالم بعيدا عنه تماما.

وكما يقول رولان بارت " ان كل عنصر غائب عن الصورة له دلالاته في الصورة ان كانت فوتوغرافية او فنية " وعموما فان الصورة عادة توحي بالذي كان وليس بالذي سيكون فالزمن يتوقف عند التقاط الصورة لذا فان التحليل يقف في لحظة توقف الكاميرا عن التقاط الصورة ، لذا بامكان التحليل السيميائي ان ياخذنا إلى الوراء ولكن لا يمكن ابدا ان يتقدم إلى الامام.

لحظة ولادة دوال جديدة من رحم المؤولات الاول:

لقد وقفنا في التحليل عند دوال ومؤولات اول ولم يكن يخطر ببال المتلقي انه سيضطر إلى تحويل المؤولات التي وصل اليها في شرحه وتفسيره للصورة الاولى إلى دوال ثانية تحتاج هي الاخرى إلى تفسير الذي يحتاج بدوره إلى معلومات جديدة تدعمه وتعززه في

عقليــة المتلقــي ، ولكن كيــف تم ذلك؟

– فــي اليــوم الثاني عشــر من الشــهر ذاته (ايلــول) من نفس العام ٢٠١٥ طفت على ســطح الاحــداث اخبــار جديــدة تداولتهــا مواقــع التواصل الاجتماعيــة تؤكد على ظهــور حقائق جديدة عــن الطفــل الغريــق وعائلته ، تلك المعلومــات ادت إلى تموضع المــؤول الاول كدال ثاني في الصورة كما ذكرناه ســابقا لتفقز كل هذه الشــروحات وتتحول إلى اســئلة لا يجد المتلقي جوابا عليهــا الا مــن خــلال الاخبار التي وردتها بعــض المواقع الالكترونية والقنــوات الفضائية والتي تفيد بان والد الطفل كان الســبب في غرق المركب لأنه كان يقود المركب بعصبية وبجنون ولم يكتــرث لتوســلات العوائــل التي كانــت بصحبته ومنهمم عائلــة عراقية فقدت اثنــان من ابنائها.

وبهــذا اصبحــت الشــروحات والتفســيرات أي المؤولات فــي هذه الحالــة دوال وتحول الدال الاول فــي الصــورة وهــو جســد الطفــل إلى دال اخــر مختفي من الصــورة الا وهــو (الاب) والد ايــلان وبهــذا اصبــح المــؤول الاول الــذي ظهــر بصــورة طبيعيــة وعفويــة عند المتلقــي الذي اســتثاره الــدال (الطفــل) وحــرك عواطفــه ومشــاعره تحول هــذا إلى المــؤول إلــى (دال عنيف) يوحــي ويؤشــرإلى مؤولات كثيرة ولدت مــن رحم المعلومات الجديدة التــي غيرت مجرى الاحداث وحولــت عواطــف الناس إلى تســاؤلات.

هنا يجب ان نركز على نقطة مهمة الا وهي ان الطبيعة البشرية التي تبني مؤولات عفوية وعاطفيــة جامحــة وغيــر مخطط لها وغير مقصودة تتحول إلى مشــاعر عنيفــة وصادمة اذا ما اقتحمها حدث مفاجئ غير متوقع وخصوصا اذا ارغمت الاعماق البشرية على تغيير اتجاهاتها بمنعطف شديد الوعورة الا وهي (المعلومات القاسية) التي ظهرت فجأة فبعد ان ارتاحت واستقرت العواطــف إلــى وضــع مقبول ومتفهم من قبل كل البشــرية بحيث لم تتعارض مشــاعر مجموعة عــن مشــاعر مجموعــة اخــرى وانما كان هناك اتفــاق جماعي على اي واحد مــن هذه الحادثة.

كل تلــك الحقائــق ولــدت لدينــا مــؤولات كثيــرة عنــد المتلقي بعد مــرور ايام على اســتقرار المــؤول الاول لــدى الناس.

لقــد تغيــرت التماثــلات الذهنيــة عند المتلقــي او انتجــت تعليقات ملأت صفحــات التواصل الاجتماعــي ممــا يــدل علــى تغير مجــرى الدوال (الاحــداث) نهائيــا وظهور مــؤولات ثانية غير المــؤول الاول الــذي اشــار باصبعــه إلــى جهات عديــدة منها سياســية وحكام وعنــف وارهاب ومجتمعــات دوليــة ليوجــه لها الاتهــام بما حدث.

– لقد احدث الدال الجديد (الاب) تغيير في تدفق المشاعر التي بدأت تهبط مستوياتها عند المتلقي إلى ان تلاشت بعد ثلاثة اشهر نهائيا بطريقة لا تتناسب مع زخم ظهورها اول مرة.

ان ظهور الاب كجاني ادت إلى ظهور علامات استفهام عديدة عند الجمهور ، تلك الاستفهامات التي تحتاج إلى تفسير منطقي وموضوعي للاحداث وحينما لم تجد ما يشبع فضولها راحت تربط بين الاسباب والنتائج على مرجعيتها الثقافية والسياسة والايديولوجية إلى مؤول جديد يرضي ولا يتقاطع مع اتجاهاتها.

ان المتلقي بطبيعته يثور او يتمرد ضد المؤولات التي تأتيه جاهزة من قبل المصدر (مصدر الحدث) فاحيانا لا يرضى بتلك التأويلات وخصوصا اذا تقاطعت مع تفكيره المسبق عن الحدث فقبل اسبوعين ولد التاويل بعيدا عن البحر الذي نام على ساحله الطفل الغريق حيث ربطت التأويلات بأسباب بعيدا عن الطبيعة ثم فجأة وجد المتلقي نفسه قد عاد وبتأويلاته إلى البحر ليستل منه تفسير ما حدث.

ان تغير اماكن التأويلات بهذه الفجأة الصادمة تتعب ذهنية المتلقي ، وقد تنتج عنها مؤولات انفعالية عنيفة غير مدروسة ، حيث بينت الكثير من التعليقات التي كتبها المتابعين لمواقع التواصل الاجتماعي حالة الانفعالات التي عاشها المتلقي بعد سماعه الاخبار الجديدة المتعلقة بالموضوع ذاته حتى دون اعطاء مزيد من الوقت للتاكد من صحة تلك الاخبار.

ان التاويلات وان بقيت تدور في محيط الدال الاول (الطفل) الا انها قد افرغت من شحناتهاالعاطفية وتحولت إلى مشاعر هجومية اتجاه دال ثاني احتاج فيما بعد إلى مؤول ثاني ليلد لنا مؤولات اخرى واخرى.

الخاتمة

لقد نجح المصور الفنان الذي قام بالتقاط صورة الطفل السوري ايلان الغريق في صباح يوم مشرق ، بكاميرا ذات تقنية عالية الجودة في نقل حدث كبير خرج بين جسد صغير لطفل لم يكن هو الدال الوحيد في القضية اذ ظهرت دوال كثيرة وغابت دوال اخرى في الصورة الا انها جميعا التقت عند ذهنية المتلقي الذ ي تمكن من تأويلها ليحيل الصورة إلى رسالة بصرية جديرة بالتحليل السيميائي.

ظهرت الصورة اول مرة كأيقونة تماثلية في العديد من واقع التواصل الاجتماعي ثم ما لبثت ان تحولت إلى ايقونة رمزية ايحائية لكثير من الفنانين والشعراء والباحثين.

لقد تضمنت الصورة دوال كثيرة لم يختلف اثنان في تفسيرها وتأويلها مما اعطاها بعدا عالميا في التعاطف والمشاعر مثل (بحر وامواج وساحل ورمال وطفل) ومما اعطى الحدث اهمية هو تزامنه مع ظاهرة الهجرة الجماعية التي قام بها المهاجرين من سوريا والعراق في ظل ظروف صعبة للغاية راح ضحيتها الكثير من الاطفال والنساء والشباب.

لقد التقطت الصورة ميكانيكيا الا انها انتجت مدلولات ايحائية كثيرة كان لها الاثر في توحيد التأويل والتفسير الذي قام به المتلقي فيما بعد لأنها مستندة على مرجعية واحدة لدى كل البشرية وهي مرجعية الانسانية والتعاطف مع الاخرين اوقات المحنة وخصوصا اذا كان هو الاخر في عمر غير مسؤول هو عن حياته وانما يتحمل الجميع تلك المسؤولية التي لم تنفع الغريق لحظة غرقه.

لذا فان المتصفح لمجموعة من التعليقات التي رافقت الصورة في المواقع الالكترونية سيرى ان اغلب الاتهامات من هذه الجريمة قد أولت باتجاه واحد حيث ترددت عبارات مثل (تقصير ، خطة مقصودة لا انسانية ، شخصيات سياسية ، امور دينية) وغيرها من الاسباب التي ربطت بالنتيجة لتنجح في تحويل تلك الصورة الصحفية الفوتوغرافية إلى لوحة سيميولوجية.

الصورة موضوع البحث

المصادر

* نسبة إلى العالم السيميائي الفرنسي رولان بارت.

** يقصد بالقراءة الاولى قراءة الظاهر او سطح الصورة ووصفه وصفا مباشرا ثم القراءة الثانية المعمقة لتحليل وقراءة ما خلف الالوان والخطوط والاشكال ، للمزيد من المعلومات انظر عز الدين شبوط ، لغة الفن التشكيلي ، ط١ ، ١٩٩٣ .

١ – قدوري عبد الله ثاني ، سيميائية الصورة ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمارة ، ٢٠٠٨ ، ص١٠٥.

٢- شوقي عيسى ، التصوير الصحفي ، الكيفية والمفهوم ،

استرجع بتاريخ ٢٠١٥/١٢/٢. www.alrafedein.com

٣- مي خلف ، الصورة الفوتوغرافية بين المعنى الدلالي والمعنى الحرفي: استرجع بتاريخ ٢٠١٥/١٢/١٠ www.nok٦a.net.

٤- جوناثان بينغل ، ترجمة أ.د محمد شيا / مدخل إلى سيميائية الإعلام ، ط١ ، االمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١١ ، ص١٧.

٥- ندى سعود ، مستويات التحليل اللغوي.

محاضرات في جامعة الملك سعود ، كلية الدراسات التطبيقية

استرجع بتاريخ ٢٠١٦/٢/١٥

www.fac.ksu.edu.sa.com

٦- جوناثان نيغل ، مصدر سابق ، ص١٧.

٧- رولان بارت ، مبادئ علم الادلة ، تعريب محمد البكري ، دار الحوار ، سوريا ، طذ ، ١٩٨٧ ، ص٢٨ نقلا عن محمد داني ، المغرب ، ماهية سيميائيات الصورة.

٨- سعيد بنكراد ، السيميائيات ، مفاهيمها وتطبيقاتها ، سلسلة شرفات منشورات الزمن ، الرباط ، ٢٠٠٣ ، ص٧٩ نقلا عن www.uob.edu ، مصدر سابق ، استرجع بتاريخ ٢٠١٦/١/٣.

٩- حسن الصديق ، سيميائية الصورة وسيميائية النص

استرجع بتاريخ ٢٠١٦/١/٣ www.communan press.com

١٠ – محمد داني ، مصدر سابق ، www.uob.edu ، استرجع بتاريخ ٢٠١٦/١/٥.